تضافر التقانات السردية وتماهيها

في رواية (اونسام كاميل)

للروائي أسعد اللامي

Assimilation and involvement of narration techigues in Ass'ad AL-Lamil's novel "Onsam Camille"

م.م. ورود يونس سالم

مديرية تربية ديالى

محافظة ديالى

الايميل: Wurood115@gmail.com

Assist. Instructor Miss. Wurood Younis Salim

Directorate of Education of Diyala Governorate

E-mail.wuroodysalim@gmail.com

الملخص:

قدّم الروائي أسعد اللامي روايته (أونسام كاميل) عبر تضافر عدة تقانات سردية تكفل الراوي (فريد) و الشخصية الرئيسة(أنسام) على إظهارها، وقد مثلت قدرة الروائي الابداعية في تجسيد فكرة الرواية التي تحكي قصة حياة أو سيرة (أنسام) ،الذي ولد لأم اسمها (المطيعة) و أب اسمه (كامل) سائق سيارة إسعاف تنقل جثث الموتى، و(أنسام) توأم لأخيه(بسام)، يقوم أبوهما السكير المستهتر بالحياة والناس بقتل أمهما خنقاً ويتهمها بأنها تعشق رجلاً آخر تريد الهرب معه، فيضيع الطفلان بعد زواجه من امرأة أخرى، ويهرب أنسام بسبب محاولة (مصلح الطباخات) باغتصابه وعدم شعوره بالأمان فتربيه امرأة ريفية هي (الرضية) في الريف مع أولادها، ثم يكبر ويلتحق بالخدمة العسكرية، ويزج في احتلال الكويت، ومن ثمّ يؤخذ أسيراً من حفر الباطن إلى أميركا، وهناك يسمونه (أونسام كاميل) بعد الاسم حسب لهجتهم، ثم يصاب بمرض ويودع في دار المتقاعدين في ولاية كولورادو بعدها تتبناه امرأة اسمها (راشيل) الأمريكية اليهودية-لشعورها أنه يمكن أن يعوضها عن ابنها الذي قتل في افغانستان-، ومن ثم يأتي أونسام مع الجيش الأمريكي إلى العراق متطوعاً من أجل الثأر لأمه ولنفسه، ويلتقي بالصدفة بابن القابلة التي ولّدت أمه فيه واسمه (فريد)، الذي سيصبح راوياً سيرياً له، يتجلى كل هذا في تقانات سردية توقفنا عندها حسب فاعليتها من وجهة نظرنا، مثل ماوراء السرد، والاسترجاع، والحذف، والتوظيف السيري.

الكلمات المفتاحية: تقانات، استرجاع، حذف، السرد، السيرة.

Abstract:

Novelist Asaad Al-Lami presented his novel (Onsam Camille) through the combination of several narrative techniques that guarantee the narrator (Farid) and the main character (Ansam) to show it, and it represented the novelist's creative ability to embody the idea of a novel that tells a life story or biography (Ansam), who was born to a woman called (Al-Mutia'a) and man named (Kamil) who is an ambulance driver that transports the bodies of the dead, and (Ansam) is a twin of his brother (Bassam). Their drinker father who suffers from life and people strangles their mother and accuses her of adoring another man with whom she wants to run away. Another woman, and Ansam escapes because of the attempt of (stove maintenance worker) to rape him and not feel safe, so she raises a rural woman, Al-Radhiya, in the countryside with her children, then grows up and joins the military service, and he is involved in the occupation of Kuwait, and then he is taken prisoner from Hafar Al-Batin to America, and there they call him (Onsam Camille) extends the name according to their accent, then becomes ill and is deposited in a retirement home in the state of Colorado, after which a woman named (Rachel) is adopted by the Jewish American - because she feels that he can compensate her for her son who was killed in Afghanistan - and then Onsam comes with the American army to Iraq volunteers to avenge its mother and himself, and he meets by chance, the son of the midwife whose mother was born in him and his name is (Fared), who will become his biography narrator, each manifested in narrative techniques that we stop at according to their effectiveness from our point of view, such as meta narration, retrieval, deletion, and biography inclusion.

Keywords: techniques, flashback, delete, narrative, biography

المقدمة:

رواية (أونسام كاميل)* للروائي أسعد اللامي تحكي قصة امرأة اسمها (المطيعة) زوجها (كامل) سائق إسعاف تنقل جثث الموتى، وقد رُزقت بتوأم هما (أنسام) و(بسام) غير أن زوجها السكير المستهتر بالحياة والناس يقتلها خنقاً ويتهمها بأنها تعشق رجلاً آخر تريد الهرب معه،

فيضيع الطفلان بعد زواجه من امرأة أخرى، ويهرب أنسام بسبب محاولة (مصلح الطباخات) باغتصابه وعدم شعوره بالأمان فتربيه امرأة ريفية هي (الرضية) في الريف مع أولادها، ثم يكبر ويلتحق بالخدمة العسكرية، ويزج في احتلال الكويت، ومن ثم يؤخذ أسيراً من حفر الباطن إلى أميركا، وهناك يسمونه (أونسام كاميل) بمد الاسم حسب لهجتهم، ثم يصاب بمرض ويودع في دار المتقاعدين في ولاية كولورادو بعدها تتبناه امرأة اسمها (راشيل) الأمريكية اليهودية-لشعورها أنه يمكن أن يعوضها عن ابنها الذي قتل في افغانستان-، ومن ثم يأتي أونسام مع الجيش الأمريكي إلى العراق متطوعاً من أجل الثأر لأمه ولنفسه، ويلتقي بالصدفة بابن القابلة التي ولدت أمه فيه واسمه (فريد)، الذي سيصبح راوياً سيرياً له.

في غفلة من الزمن وقف صامتا امام معاناة مريرة، شاهدها بأم عينه، ولم يحرك أمامها طرف عباءته، التي غلفها الخوف والمجهول، وفي غيابت السجن الكبير الذي أختط به ذكرياته، "وقف (أونسام كاميل) في سيطرات بلده الكثيرة، التي بدأت بقراءة معلوماته قبل دخوله بوابات ذلك البلد الذي أخذ منه كل ما يملك، دققت تلك السيطرات في هويته التي قدمها ليثبت انه ليس غريبا وليس دخيل ...!!! وفي نهاية تدقيقهم قالوا لست غريبا ولكن...انت غريب!! حاولت أن أشرح له لكنّ تيها قد اخذه عندما قرأ معلوماتي، غير أنه وفي نهاية حديثه معي دفعني وأخرج من سرواله القصير سيجارة أشعلها فأشعل معها كل وطني السليب ومحا ما بقي من هويتي التي جهدت ألا أضيعها كما ضاعت كل محطاتي "صـ13.

بعد هذه المقدمة التي تنقل معاناة من أُوقظ في ليلة ممطرة لتُنسف حياته؛ لأنه قد تعرض للحياة بالسوء، وسخر من قدرها المحتوم لتتوقف عند محطات مخطوطة (فريد/الراوي) – أو كما يحلو لمن كان يصفه من جيرانه (ابن القابلة المأذونة) أو (ابن المولدة على نحو شعبي)-، التي جمعها على لسان (أونسام) في لحظة غيبها الزمن السردي، ليشع من زمن آخر لم يعلن عنه في بداية عرضه لتلك الحقائق التي دونها(فريد/الراوي) عن (أونسام/ الشخصية الرئيسة)، مستعرضين جملة التقانات السردية التي وظفتها الرواية وقد أستضأنا بالعنوان لأهميته في كشف دالات النص.

العنونة:

صار العنوان لأي نص أدبي له دوره في الدلالة على المتن فضلا عن العنصر الإغرائي عونا على فهم البعد الماورائي و السردي في العمل الأدبي عموما ، وكان قبل ذلك مهملا في الدراسات النقدية لشعور النقاد أنه عنصر فائض أو مما يسمى بـ(ماحول النص) أو هو تزيينيّ لا أهمية له، غير أن الدراسات الحداثية وقفت وقفة متلبثة عند العنوان ، وحللته بل عدّته نصا موازيا إن لم نقل هو بوابة النص الابداعي و العنصر المضيء حسب التسمية الشائعة(ثريا النص)[1]، يحيل عنوان رواية أسعد اللامي(أونسام كاميل) إلى أنها رواية شخصية[2] بامتياز، فهو بالأصل اسم للشخصية المحورية و الفاعلة في الرواية ، وقد اختار الروائي اسم الشخصية بعد تحويرها في النطق عند الأجانب (الأمريكان)لأن اسمه العربي (أنسام كامل)، ومع هذا أيضا يوحي عنوانها بما يجعل المتلقي يتوقع أن الرواية (بوليسية)حسب تداعيات الذاكرة لمثل قصص (أرسين لوبين) أو اللص الظريف، أو غيرها ، ومما زاد في قناعة المتلقي عن ذلك هي صورة الغلاف التي تعد هي الأخرى إحدى العتبات النصية التي تضيء المتن، فقد اختار الناشر صورة لرجل توحي هيأته بأنه أجنبي، ماشيا وقد أدار ظهره للرائي وهو يلبس القلنسوة الغربية والمعطف المطري في جوّ مكفهر شبه مظلم وقد شبك يديه إلى الخلف ، ثم وضع تحت العنوان الروائي عنوانا تجنيسيا مختصرا بلفظة(رواية) و لم يصفها بكلمة أخرى تحددها (بوليسية) مثلا ، مما حفّز المتلقي لمتابعة سردها لمعرفة طبيعة هذه الرواية ، و لابدّ من الإشارة إلى أن العنوان مهما كانت حمولته الدلالية وافية يبقى دافعا محفزا لقراءة المتن الروائي ، وهو مايهمنا بتشكيله مفتاحا لكل نص أدبي.

تقنيات الرواية:

أقام الروائي روايته (أونسام كاميل) على عدة تقانات أثرت نصه وارتقت به، ليكون جديرا بالقراءة واكتشاف عوالم سرده وافتضاض أسراره، وسنقف على مانراه مهما فيها أو شكّل مساحة توصف بالاتساع جعلته فاعلا ولافتا للقارئ للوقوف عندها، منها:

1- ماوراء السرد:

تعد تقانة ماوراء السرد من أهم التقانات الروائية المابعد حداثية بعد أن ارتبط مفهومها بالبنية الشكلية للرواية، فشيوع (ماوراء السرد) انسجم تماما مع شيوع ظاهرة (المابعد) التي غطت مجمل الأشكال التعبيرية وأجناسها، و هو في أبسط تعريفاته سرد داخل السرد، أو يعمل دالا على سرد آخر، "فالميتاسرد في الجوهو هو وعي ذاتي مقصود بالكتابة القصصية و الروائية يتمثل أحيانا في الاشتغال على إنجاز عمل كتابي أو البحث عن مخطوطة أو مذكرات "[3]، وكأنها إعادة تمجيد للمؤلف بعد أن فقد بريقه بنظرية(موت المؤلف)، و مناقشة العلاقة بين المؤلف و القارئ[4]، بمعنى أنه رد فعل للإقصاء و الإلغاء الذي مورس على المؤلف- من قبل الاتجاهات أو المناهج التي تبنت ذلك-، لإبرازَ دوره من جديد في عملية الخلق الابداعي، بحيث يكون طرفا في التأليف، إذ يضع في روايته إرادته و أفكاره و تصوراته و يترك فراغات للمتلقي ليملأها، فظهور المؤلف بصورة كاتب في الرواية هي جزء من تقنية ماوراء السرد ، بل نجد أحيانا يطلق اسمه على المؤلف الآخر في السرد(داخل الرواية)، فضلا عن كسر الإطار التجنيسي للرواية بهدف خلخلة بنية السرد النمطية، ففي رواية (أونسام كاميل) يقوم أنسام بالطلب من (فريد) ابن القابلة التي ولّدته في محلته القديمة في بغداد، أن يكتب قصة حياته لكونه يشتغل بالصحافة،"في الممر حدثت المصادفة هذا الوجه أعرفه ، ولكن كيف تصادف وجوده في المكان؟ ناديته غير مصدّق: بسام ، حدجني بزاوية عينه، حاول أن يتجاوزني ، وجدت نفسي ألحق به ، أقف قدّامه، و أناديه ثانية: ألست بسام برهان العوسج؟ صمت برهة خزرني بعمق ثم قال : لا أنا توأمه أنسام ، من أنت ؟ هل تعرف شيئا عن بسام ؟لاحظت أنه كان مضطربا ..عفوا ناديتني باسم أخي تعرفنا ولا أعرفك ، قلت له من تتكر من الجيران؟..وجهك ليس غريبا عليّ..مهلا مهلا أنت ابن المولّدة أم جنان؟..آه أنت ابنها فريد..أمك هي التي أخرجتنا أنا و أخي للحياة"صـ170-171، وحينما علم (أونسام) أن فريدا يعمل في الصحافة شعر أن أمورا ستتغير ، وأنه يسطتيع الآن أن يزيل الهم الجاثم على صدره من سنيّ عمره" أحتاج إليك بشكل كبير، والوصول إليك صعب ، قال سأذلل ذلك ما استطعت ، أردف لم تسألني لماذا ؟ هززت كتفي طالبا منه إيضاحا، ..قال: ظلمت كثيرا في حياتي و لا أريد أن يستمر ظلمي بعد الممات، لذلك سأحكي لك قصتي من ألفها إلى الياء ، سأبوح بكل شيء، أتعرف يخيّل إليّ أن أيامي قصيرة"صـ172.

اتفق الصحفي الذي سيكون راويا لتفصيلات حياة(أونسام)على موعد للقاء به و البدء بكتابة قصة حياته" قادني إلى مصطبة حجرية في ممر وجلس يحكي ويحكي وطال بنا الوقت ،قلت:يكفي هذا فلنؤجل البقية إلى موعد آخر،قال: لا أرجوك لم يتبق الكثير واستمر يسرد بسرعة و أنا ألاحق انتقالاته بين الأمكنة و السنوات حتى إذا ما انتهى، فاجأني بطلب غريب، أن لا أظهر قصته للعلن إلا بعد عشرة أعوام ،لماذا؟ استفسرت منه ، قال :حتى أكفيك سوء الظن، سوء الظن بمن؟ أجاب ربما سيتصور أحدهم أنك اختلقتني من الخيال وأعطيت لشخصيتي رؤاك،..وأنك بعد هذا الوقت أعني بعد عشر سنوات ربما ستجد مستمعا أو قارئا متفهما لا يتجنى عليك، أو حتى عليّ،..،قلت..سأفكر بالأمر بشكل جدي، ولاأستطيع أن أعطيك وعدا قاطعا"صـ172، ودّع الراوي (فريد) كاتب السيرة الغيرية لـ (أونسام) صديق طفولته، بعد أن سجل كل ما قاله عن تفاصيل حياته من الطفولة إلى اللحظة الراهنة، وبعد أيام سمع بخبر وفاة (أونسام) بمشفى في ألمانيا كما علم من (راشيل)، وبقي الراوي كاتب المخطوطة حائرا هل يتصرف وينشر المخطوطة أم ينتظر عشر سنوات كما وعد، فلم يجد حلا سوى تسليم المخطوطة لمعلمه ليقرأها، ويرى ماذا يفعل بها"معلمي جئتك أحمل مخطوطة حياة ، زمن محفور بين غياب وعثور في الثامنة أو التاسعة من العمر أنا و الطفل وتوأمه تلاميذ في مدرسة واحدة في صف واحد في رحلة واحدة"صـ10-11، وبعد قراءة المعلم لها وتصحيح مافيها من هنات لغوية،انبهر بشخصية(أونسام)وتألم للقهر الذي أصابه و الظلم الذي طاله، ومن ثم أعاد المخطوطة للراوي كاتب السيرة بـ(سرد ذاتي)، إذ جعل (أونسام) يتحدث بضمير الـ(أنا)،إلا بالفصل الأخير الذي كان بعنوان (الراوي)،إذ قام بسرد موضوعي بضمير المخاطب محدثا معلمه:"في نهاية المطاف يبقى الأمر بالرغم من الحزن المرافق له شأنا شخصيا لايجوز المساس به،..ليس أمامي إذن غير أن استحضر صورتك،قلمك،حماسك القديم،افترض أنك منحت المخطوطة فيضا من اهتمامك ،شكرا لك ..جهدك واضح معلمي من كم الملاحظات و الأسئلة و الهوامش التي خطتها يدك"صـ164.

وبدأ القلق يساور الراوي (فريد) في نشر المخطوطة بعد موت (أونسام) بقليل خوفا من تعقد الظروف، وقد يذهب الراوي نفسه ضحية خطأ اطلاق النار من قوات الاحتلال الأمريكي فلا يفي لأونسام بنشر المخطوطة،أو بفقدها فيتصرف بها من ليس أهل لحمل الأمانة و هنا يصارح معلمه بهواجسه لعلّ (المعلم) الذي لم يذكر اسمه، هو رمز للضمير الانساني الذي يوّجه الأمور الوجهة الصحيحة، يقول"هل يلغي الموت الوعود التي نقطعها على أنفسنا؟ لقد مات أنسام كامل بعد أيام من نقله إلى هامبورغ كما علمت من راشيل ، المرأة التي كان يحتفظ لها بود كبير ،

وسبق أن أعطاني بريدها الالكتروني ، ألا يحررني ذلك من ربقة الوعد؟..ثم متى كان لنا الصبر على إبقاء النصوص حبيسة الأدراج؟ نظرته المعذبة معلمي مازالت أمامي تلوح كلما هممت بدفع المخطوطة إلى المطبعة" صـ173، وقد أثار الراوي – ماتراه نقطة جوهرية– تنم عن شك في سرد الأحداث ، ولاسيما حادثة ركل أنسام وهو طفل صغير لمصلح المدافيء الذي حاول أن يغتصبه وهو ضخم الجثة ، إذ بقي أنسام مرعوبا من تلك اللحظات حاقدا على مصلح المدافيء، وحينما عاد إلى بغداد بعد رحيله عنها، أراد الانتقام منه لكنه علم بأنه قد قتل في الحرب، فشعر بهم قد أزيل عن روحه، يقول الراوي/الكاتب"بقيت نقطة أخيرة ،اسمح لي أن أمر عليها وأعدك أني لن أطيل ، قد تتساءل ويتساءل القراء معك،كيف أمكن لصبي صغير أن يتغلب على رجل بالغ ويفلت منه، لا أكتمك سرا أنا نفسي ، سألت نفسي هذا السؤال ، ولكن لم يكن أمامي غير أن أكتب كما روي لي بالضبط"صـ173، وثانية يشكك الراوي (فريد) بحادثة موت أم أنسام التي رواها له" كذلك الأمر مع موت أمه لقد كان مقتنعا تمام الاقتناع بأنه رأى رؤيا العين أباه يجندل أمه ، ورآها تهوي بالقرب من مخبئه تحت الأريكة، ولم يكن أمامي و الحال هذا سوى أن أجاريه، ولكن هل كانت أما مجردة كسائر الأمهات ،أمي و أمك مثلا مع أنها اتخذت في ذهنه شكل رمز ، هل قتلها أبوه؟ هل خنقها؟ أم أن طيف توأمه الذي كان وجها آخر من وجوه الحقيقة ، ووجوه الذاكرة المطموسة كان دقيقا أكثر منه؟أغلب الظن أنه كان من فرط تشوشه يرى أشياء كثيرة بعضها كان غريبا فعلا"صـ173.

نخلص إلى أن ماوراء السرد في هذه الرواية التي جعلها المبدع كلها من تأليف الراوي (فريد) الذي روى حقائق الحكاية كما رواها أنسام مع شكّه في بعض المواضع" لا أقول هذا لكي أتنصل من مسؤوليتي كراو ، ولكن لأنها الحقيقة دون مواربة ، أنا كنت ناقلا للحكاية لا غير، وكمخرج توافقني لهذا الإشكال أظن أنه ربما يكون قد رمز فعلا لما هو أبعد من مفهوم الأب بالمعنى البيولوجي ،الأب بمعناه الشامل الثكر المسيطر المسيّر للأمور ..أخيرا لابد أن أشير إلى العنوان..لقد جعلني أقسم لهأن لا أضع عنوانا للحكاية غير(أونسام كاميل)، ولم أجد أمامي غير أن أبرّ بقسمي و أجاريه فيما أراد ، لا أخفي عليك معلمي ، كنت قد اخترت عنوانا آخر للحكاية أسميتها (التيه)، ثم مرّت بخاطري رواية ماركيز الصغيرة (ذاكرة نسائي الجميلات) و أردت أن استعيرها و أعنون المخطوطة بـ(قائمة نسائي الجليلات)، ولكنني رضخت في نهاية الأمر برّا لذكراه لما أراد..لست متعجلا هل أنشرها أم أتركها كما أراد صاحبها حبيسة عشر سنوات،؟وسأكون مستمعا لك آخذا بنصحك و السلام ، تلميذك المحب يقبل يديك"صـ174، بهذا النص تختتم تقانة ماوراء السرد ، فهي بنجاح تحكي لنا رواية داخل الرواية، وحاول المؤلف أن يقنعنا عبرها بأنه مجرد ناقل لمخطوطة بطلها (أونسام) وراويها(فريد) الصحفي.

2- استرجاعات السرد:

من التقانات السردية المهمة التي وظفها الروائي بمهارة تلفت النظر إليها، هي (الاسترجاع) (الفلاش باك)،وترتبط بالزمن السردي أو مايسمى بالمفارقة السردية، وقد استعملها لإضاءة مالم يُفهم أو ما لم تتضح معالمه إلا بعد أن يسترجع ماضيا يربط به أحداثا أو يكشف مواقفا لها ارتباطاتها الورائية، وفي توظيفه حركة فنية تغني السرد بدلالات تعريفية تجاوزها السرد أو أغفلها، وكأنه حكاية مضافة إلى الحكاية الأصل[5]، فنجد الراوي(فريد ابن القابلة التي ولّدت أونسام) يقدّم للقارئ خلاصة ما في مخطوطته ،من خلال التقانته الاسترجاعية الارتدادية –حسب تودروف–[6]، روى لنا فيها ما قد وقع من قبل، قائلا:" قبل ثلاثة أشهر تنقص أو تزيد قليلا عثرت معلمتي على الطفل، عثرت عليه في لحظة غير متوقعة على الإطلاق، لحظة منفلتة من حسابات الزمن، لو كانت أمي على قيد الحياة لرفقت لها بشرى العثور...، الطفل القديم ذاته، وفي الثامنة من العمر، لم يتغير فيه شيء سوى قامته طالت وإرهاق أذبل وجهه الوسيم، غيابه الطويل وفقدان الأمل في العثور عليه جعلني أحسبه توأمه، أناديه على هذا الأساس مستغربا وجوده في المكان، تفرّس بي لحظات ثم صحح لي بشكل احتفائي بعد أن شم فيّ رائحة أمي التي أخرجته للحياة وساعدت والدته على انتقاء اسمه الجميل"صـ12، هذا النص استرجاع اختزل فيه الراوي بجمل قصيرة زمن السرد كله، من ولادة أونسام ومن ثم حادث فقده إلى لحظة السرد الآني التي تبين الهيأة التي صار عليها من الارهاق و الذبول الذي علا ملامحه،كما أنها لم تختلف عن صورته وهو صغير سوى بعلامات التعب بعد أن كبُر وطالت قامته، كما يكشف هذا الاسترجاع عن معرفة الراوي بالشخصية منذ ولادته– أونسام–التي استقبلته القابلة–أم الراوي– لحظة مجيئه للدنيا،عبر لقائه به في مكان حدد السرد بدايته ونهايته، وفي غفلة من الزمن كما يروي، ومن الاسترجاعات الأخرى و المهمة، ما توقف عنده –وهو عائد لينتقم من أبيه لأنه قتل أمه–، راجعا إلى أيام طفولته، وهو يستذكر ما حدث" لقد قتلها ، قتل أمنا دون ذنب ، وأنا كنت شاهدا على كل شيء ..كنت مسكونا من قمة رأسي حتى أخمص قدمي بثأري القديم ، أشفي غليلي من العوسج الذي أحمل اسمه أبا في حلّي و ترحالي ، شئت أم أبيت ، أكاشفه بالدين القديم ، أسرد أمامه سلسلة العذابات ، إن سوّلت له نفسه

الدفاع عن آثامه وأخطائه القاتلات، أرمي في وجهه صرختي المدوية : أنت السبب في ما وصلت إليه"صـ24، ويستذكر مواقف زوجة أبيه التحريضية" المرأة التي جلبها أبي للبيت هي التي أجبرتني على ترك المدرسة ، قالت المدرسة لا تنفع بشيء السوق يعلّم الرجولة وهو وافقها على رأيهاقبل أن يساق للحرب، قال أنت تعمل وبسام يبقى في المدرسة ..و تلك المرأة كانت ترعبنا كل صباح..كنا نرتعد أنا و بسام ..هي التي قالت لبسام هازئة أمك تركتك و ذهبت مع رجل غريب،قال لها وهو ينتحب أمي لا تفعل هذا"صـ46، ويستمر في استذكاراته التي تكسر نمطية التتابع ، ففي حديثه مع المرأة التي رعته بعد وفاة أمه ، وهروبه من البيت بسبب قسوة أبيه ، واعتداء مصلح الطباخات عليه، " ما الذي يبكيك؟أخي قال، لك أخ؟ ما اسمه؟ قلت له، بسام أجاب وانهمرت دموعه لما ذكر الاسم ، كم عمره؟، سألته و أنا أمتد شعر رأسه الناعم، في مثل عمري ، قال ، إننا توأمان لابد أنه يبحث عني الآن،..إن كان أبوك قد ضربك فهذا لايعني أنه يكرهك، لم يضربني أبي ردّ بحدة ، و لا أحد يقلق عليّ قالها بطريقة لا تتناسب مع سنّه ثم واصل بغضب ضربني مصلح الطباخات في السوق و أنا أيضا ضربته، ..أما كان المفروض أن تخبر أباك بالأمر كي ينتصر لك ، أبي لا شأن له بي: أبي في الحرب وحتى لوكان هنا و أخبرته، سيضربني و يلقي اللوم عليّ، لا يمكن أن يتبرأ أب من ابنه، قلت و ربما يريد الستر؟ قال لا لا يريد الستر جبان ، وشجاع مع أمي فقط ، .. خنقها ، بيديه خنقها، من؟ من ؟كررت متسائلة، أبي ردّبصوت مرتجف، ..رأيته بعيني هاتين يغطيها ببطانية و يحملها بين يديه ، إلى أين ؟ لا أعرف،..لكن والله العظيم هذه هي الحقيقة قتلها ، وأنا كنت تحت الأريكة و رأيت كل شيء"صـ72-73، وتتكرر استذكاراته لماضيه أيام الطفولة حيث الوجع و الحزن على أمه التي تهان وتضرب من قبل أبيه، مع مايكنه لها من حب لكنه لم يستطع عمل شيء لها ينقذها ، أو يردع أباه عنها، لكنه بقي محبا لها معتزا باسمه لأنها هي من اختاره له، فحين طلبت منه (الرضية) المرأة التي ربته أن يغير اسمه إلى(غريب) بما يلائم طبيعة (الديرة) التي يسكنون، رفض" من الآن فصاعدا سيكون اسمك (غريب): كانت نبرتها حادة حازمة، لماذا ؟ قلت لها لدي اسم، قالت لاتجادل ثم أردفت في ديرتنا لم يعتد الناس على هكذا نوع من الاسماء :أنسام، بسام،وأنا أخشى أن يسخروا من اسمك،ولكن أمي اختارته لي ، قلت لها، أمك،..وأين هي الخاتون أمك؟جعلتني على وشك البكاء،..لاتزعل، قلت لها لم أزعل ، ولكنك تتحدثين عن أمي بما لا تستحق"صـ91، ويبدو أن ماعاناه في الصغر لم يستطع تجاوزه بل إنه يعيشه أو يستذكره باستمرار، من ذلك ماحكاه لـ(راشيل)،" مذ كنت صغيرا راشيل فتحت عيني على الخوف و الرعب ،على أب مخذول لايعرف غير استعمال يديه و الضرب بشدة لأتفه الاسباب، أب أتذكر جيدا يعود فيركن سيارة الاسعاف التي يقودها أمام البيت ،فيهرب الجميع من رائحتها، وهم يتصايحون ، موت، موت، ولم أكن أفقه معنى هذه الصرخات، أبي ينقل رفات الجنود الموتى في الحرب إلى ذويهم، فتبقى عالقة فيها الرائحة البشعة للموت، أب كان يفتح كل صباحاته المسروقة من أعمارموتى الحرب بقنينة خمر،... أرتجف من الهلع و الخوف على الأم التي أمضت أيامها تصرخ و تستغيث، ولم يكن بإمكاني إبداء المساعدة لها و العون، أكره أبي ، راشيل، أكرهه كرها لا اعتقد أن بشرا على وجه الأرض يحمل مثله أبدا، كم تمنيت موته،..كم حلمت لو كان بإمكاني أن ألوي يديه و أمنعهما من الوصول إلى أمي، كم وددت لو أكلته الحرب و لايعود"صـ119-120، وكرهه لأبيه، جعله يطلب من راشيل ألا تخاطبه باسم أبيه كما يفعل الأمريكيون، حين تقول له مستر كاميل،" آسف حقا راشيل ولكنها رغبتي الحقيقية (أونسام) فقط، أرجوك لا تذكري (كاميل) أكره هذا الاسم، أكرهه كرها لايطاق "صـ133.

إن تلك الرغبة في رفض الأب وكرهه بهذا الشكل ينم عن معاناة مزقت روحه و تركت فيها جروحا غائرة ، ولعل دارسي علم النفس يرون تلك الرغبة في كره الأب و تمني موته تحمل ميولا أوديبية استنادا إلى نظرية فرويد المعروفة .

ويكسر الراوي ثانية خطية التتابع الزمني عبر بوحه الاسترجاعي وهو يسرد لنا مختزلا وموماً إلى ثراء واحتشاد الأحداث، يقول:" أمضيت معه انصياعا لرغبته وبرّاً مني لذكراه نصف نهار، إنهمر فيه، في وابل طوفاني من الذكريات، لم يترك شيئاً دون أن يمر عليه"صـ12، فهو لم يترك شيئا من(الذكريات) حسب رأيه من دون أن يمرّ عليه، لكنه –الراوي– لم يشأ الوقوف عنده؛ لأنه في طيات الرواية سيلجأ إلى تفصيل أكثر للأحداث التي مرّت به، أي لم يسرد لنا تلك الذكريات الكثيرة في حديثه الأول؛ لأن زمن السرد الاسترجاعي لا يتسع لسردها، فأجّله لسرد ثان في مكان آخر.

ولم تقف هذه التقانة عند الراوي إلى هذا الجزء من الوصف، وإنما تجاوز ذلك إلى (راشيل) المرأة الأمريكية اليهودية التي تبنت أونسام هناك بعد أن أصبحت وحيدة، وهي الأخرى لم يُظهر ملامح معرفتها جيدا حين يقول:"سأعطيك بريدا آخرا ربما يحدث لي شيء، لا أعرف،...، أرسل ما تكتبه فيما لو حدث مكروه إلى صاحبة هذا العنوان، هي المرأة التي حدثتك عنها"صـ12، هو لم يذكر اسم (راشيل) ولم يشر إليها بمسمى وانما قال " المرأة التي حدثتك عنها"، ونحن من قراءة الرواية نستنتج أنها راشيل المرأة التي احتضنته، وجعلته يشعر بدفء الحنان الذي فقده بعد

أن سكن في بيت المتقاعدين في أمريكا ولم يصرح باسمها لأنه يتذكر ليس بذاكرته، وإنما بذاكرة (فريد)، الذي لم يجد أن ذكر اسمها من الأهمية في مجال السرد؛ إذ سيتذكرها (أونسام) في سرد الأحداث، وهكذا إن المساحة التي يشغلها الاسترجاع في السرد تكشف الغاية الفنية التي أرادها الروائي ومقصديته التوظيفية في عرقلة انسياب سرده وكسر نمطيته التتابعية.

3- الحذوفات السردية:

يعد الحذف من التقانات التي يلجأ إليها الراوي ليتجاوز في سرده بعضا من مراحل حكيه من غير أن يشير إلى ذلك، كما إنها تمثل حركة تسريع سردية، يمكن أن يكون المتلقي مكتشفا ثغراته المقصودة من خلال إلمامه بالمحتوى أو من ربطه الأحداث،أو يُرجئ ذكر المحذوف لاحقا بما سيأتي من أحداث أخرى في الرواية.

والحذف في هذه الرواية ليس الشائع المعروف في مستويات الزمن السردي ، إنما هو حذف مؤجل التصريح به، ونستطيع أن نطلق عليه(الحذف المؤجل) ذكره لاحقا، فالروائي حينما يحذف حدثا أو اسما لشخصية أو مكانا يعود إليه فيما بعد، في أماكن محددة من الرواية ليمنحنا اكتشاف دلالة الحذف توضيح مختصر أو تفصيلي ، ومن ذلك قول الراوي"المصادفة وحدها هي التي قادتني إليه وآين؟ في مكان لايخطر ببال أشد المتشائمين على الاطلاق :معلمي كيف؟ ولماذا؟وأين؟ ذلك أمر يطول شرحه الآن لكنني أعدك بإيضاح مفصل عنه في أقرب وقت"صـ12، وهذا ماسيتكفل السرد في تفصيله على لسان الشخصية أو عن طريق الحوار ،أو بالسرد الموضوعي، وقد ذكرنا بعضا منه في هذه الدراسة، فاللقاء بين الراوي و أنسام تم في قاعدة أمريكية دخلها الراوي مطالبا بتعويض عن تضرر سيارته بسبب جندي أمريكي مخمور صدمه بسيارته ، وبالصدفة شاهد الراوي شخصا ظنّه(بسام) التوأم ،فاكتشف لاحقا أنه(أنسام) ويسمونه بالقاعدة الأمريكية(أونسام)، دخل مع الجيش الأمريكب متطوعا لأجل العودة إلى العراق للانتقام من أبيه ثأرا لأمه ، ومن مصلح المدافيء ثأرا لنفسه، ولم يوفق في أي منهما، إذ وجد الاثنين قد ماتا في الحرب.

ومن الحذف المؤجل أيضا ذكر امرأة من غير أن يسميها باسمها أو يعرّف بها،يقول الراوي على لسان(أونسام):" أرجوك هاتفني أو راسلني على هذا الايميل ، هززت رأسي موافقا،أضافت ،أرجو أن نبقى على اتصال ربما يكون لدي تصحيح أو شيئا نسيته و أتذكره،..سأعطيك بريدا الكترونيا آخر ربما يحدث لي شيء ..أرسل ماتكتبه فيما لو حدث مكروه إلى صاحبة هذا العنوان ، هي المرأة التي حدّثتك عنها"صـ13-14، ثم أراد الراوي الاتصال بـ(أنسام) بعد أيام فلم يحظ باتصال ، إذ كان كل شيء مغلقا، فيبدأ بتوضيح جزء مما حذفه سابقا" كان هاتفه مغلقا ، وكررت المحاولة طيلة الأيام التي تلت ، وكان الهاتف صامتا، فرابني الأمر، عمدت إلى بريده الالكتروني، كان مطفأ هو الآخر، تركت له رسالة لم يردني أي جواب، تفاقم قلقي عدت وخاطبت صاحبة الإيميل البديل لم أجدها على الشبكة، تركت لها رسالة أنبئها بأني أنجزت مسوّدة أولى عن حكايته، وأنه أوصاني أن أرسل المسوّدة إليها، وسيكون من دواعي سروري إطلاعها عليها لأنها بطلة رئيسة في الأحداث ولابد و الحال هذا أن يكون لها رأي في مساراتها"صـ14، وبعد انتظار مقلق يصله الرد من صاحبة الإيميل ويجري حديث بينهما ، يعرف من خلاله أخبار (أونسام)،" أن حالته الصحية تدهورت إلى حد كبير، وأنه نقل على جناح السرعة إلى مشتسفى في مدينة هامبورغ،..و تعتقد أيامه الأحيرة هذه ، وأنها لتأسف حقا أن تقول هذا لعلمها بصداقتنا القديمة،... وأنها ستكون في منتهى السعادة وهي تسترجع تفاصيل حياتها معه، ولو من خلال كتاب وذكرت أشياء أخرى- لاحظ الحذف لم يذكر ماهية هذه الأشياء- جعلتني أدرك أني أمام قارئة جيدة ومثقفة وواسعة الاطلاع"صـ14، ثم يعود الراوي ليثري القارئ بما حذفه أو تجاوزه من معلومات تعريفية عن المرأة، فتقول محاطبة (أونسام)،" يبقى قدرك مثلما هو قدري قدرنا المشترك عزيزي أونسام، أنا وأنت كلانا من هناك من تلك البقاع أنا مواطنتك وأنت مواطني أنا عراقية الجذور جدي و أبي من محلة التوراة في مدينة عندكم في الجنوب ، مااسمها، ما أسمها، يا إلهي لم أصبحت سريعة النسيان ، البصرة قلت لها مذكرا ، لا ليست البصرة ، النمارة نعم النمارة وضغطت بقوة على حرف العين ، لكنها لم تستطع أن تتلفظه بشكل صحيح ، ابتسمت وقالت كان أبي هكذا يتلفظها، لقد تركاها جدي و أبي وجاءا إلى أمريكا في وقت مبكر،..أنا يهودية الأصل ، يهودية أرثوذكسية :ليست لديك أدنى فكرة عن ذلك، راشيل ماذكرته عن مدينة العمارة صحيح ؟ قاطعتها بابتهاج مثلوم ، نعم أصولنا من هناك أونسام"صـ136-137. لحذف بنوعيه" المحدد وغير المحدد"[7]، في رواية (أونسام كاميل)، فيحذف الراوي لجزء من أحداث المشهد السردي، الذي قد يقع في حادثة يتعمد اختزالها، أو في مشهد سردي أكبر ينهي وجوده من دون أن يبين الاسباب التي تقف خلف حذفه، ثم يعود ليُظهر الجزء المحذوف من السرد، ولكن بعد أن ينتقل بنا إلى حدث آخر في نقطة أخرى من نقاطه السردية المبعثرة كما أرادها هو، أو كما أرادها الروائي؛ لان مفاتيح السرد تنقل إلينا الأحداث كلا حسب وضعها المناسب[8]، ففي كلام

(أونسام) عن (راشيل) وحديثها المصدّع لرأسه عن جمعية السلام الملائكي الارثذوكسي، ومن ثم استرجاعه لما يمكن أن يقوله الشيوخ، وكيفية زئيرهم عليه حدث حذف مقصود لا يتضح لنا إلا بعد أن تذكر (راشيل) له أنها يهودية، وقد أتت به من بيت المتقاعدين إلى بيتها في كولارادو" سيزأر الشيوخ غضبا، وهم يسمعونني أتكلم هكذا عن جمعية السلام الملائكي، سيحوقلون ويضربون كفا بكف، سيقولون هاهو غبي آخر ضلله اليهود"صـ28، فهذا الزئير والحديث عن ضلالته لا يتضح تماما الا بعد استعادة الجزء المفقود من كلامه عن (راشيل) وكيفية اعلانها (لأونسام) انها يهودية " أنت يهودية؟! رفع عينيه في وجهي وباغتني بالسؤال هكذا دون مقدمات أنت يهودية؟ كان صوته محملاً بقدر كبير من اللوم والاتهام والشعور بالمرارة والخذلان... لماذا لم تخبريني منذ البدء؟ أضاف بنبرة غاضبة" صـ88، فالنص المحذوف من السرد هنا أوضح الغموض الذي أخفته(الشخصية/أونسام)حول زئير الشيوخ وغضبهم من كلامه عن (راشيل/اليهودية) التي تضلله حسب زعمهم، وهذا الكلام هو وجهة نظر (أونسام) لأنه كان يعتقد ذلك، فتعددت وجهات النظر لديه بالموضوع بحسب توقعات رؤى من اعتقد بأنهم سيوجهون اللوم إليه، وهذا الاعتقاد الذي شكل وجهة نظر الشيوخ، التي مثلها(أونسام) عبرت عن رؤية الراوي وعلاقته بشخصيته، فهو حذف محدد ومقصود.

وفي موضع آخر يقوم الراوي بالحذف حين ينقل إلينا جملة سردية مقفلة عن حديث (راشيل) أبتسمت له وخاطبته باللغة العربية،... سيد كاميل! بوغت، ألقى نظرة طويلة، مستغربة دارت في فضاء العربة، كمن كان يبحث عن مصدر الصوت ولما لم يجد قربه أحداً سواي، استقرت نظرته أخيرا باندهاش على مقطع وجهي الجانبي:تتحدثين عربي؟ سأل بانفعال"صـ70، لم يفصح لنا الراوي العليم" الذي يكون عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية السردية"[9]، لانه نقل إلينا كل ما يحدث بعلم مطلق حتى انفعال السيد كاميل، إلاّ أننا الآن نعلم ما حذف الراوي العليم من مشهد لم يصرح به إلا بعد ان استقرت حالة (أونسام) وتحكي له راشيل أنها من أصول عراقية وأن جدها كان يسكن محلة التوراة (أحدى محلات مدينة اليهود القديمة)، وانها تعمل في متحف (كولارادو) لحضارات الشرق القديمة" ستأخذني بنفسك أونسام ليس الى بابلون فحسب بل وإلى بيت جدي القديم آه كم أحلم بزيارة بيتنا القديم في محلة التوراة، وجهي شرقي يشبه وجوه النساء العراقيات أليس كذلك عزيزي أونسام!"صـ124، وهذا ما يتوخاه الروائي من حذوفاته أن يجعل المتلقي نشطا في انتباهة دائمة للسرد ، فما ساوره من شعور نفسي في رغبته معرفة إجابة راشيل عن سؤال كاميل لها عن معرفتها التحدث بالعربية، وجد جوابه حاضرا في متابعته السرد بحديثها اللاحق حين أفصحت عن رغبتها في زيارة العراق حيث بيت جدها، وكأن الحذف الصريح جاءت إجابته غير صريحة بل منوّهة وغير مباشرة.

وينوّع الراوي في حذوفاته، ليكون هذه المرة الحذف غير المحدد للزمن السردي، فهو أيضا يترك للقارئ عملية استنتاج المحذوف من خلال ربطه بين المواقف والأحداث في الرواية[10]، كما في وصف حالة(الرضية)(المرأة الريفية التي احتضنت الطفل أنسام(اسمه حين كان بالعراق) بعد أن هرب من أهله بسبب قسوة والده وقتله لأمه وظلم إمرأة أبيه/ الشخصية المتغيرة بتغير مواقف السرد)، حين تحاول (الرضية) حماية الدواب من مرض فتاك غير أنها بعد ان نجحت في حماية دوابها وكافحت طويلا لأجل ذلك، عاد الراوي ليستدرك لنا بكلام مبهم هو بحاجة إلى توضيح((أنا وأمي الرضية غادرنا عائدين، كنا فرحين فرحا لا يصدق في نجاح مسعانا في إبعاد المرض المميت لكن فرحنا لم يدم طويلا! أنقذنا الدواب من موت متربص، كافحنا طويلا لأجل ذلك في مسعانا أيما نجاح، لكن الموت كان عنيدا، غادراً التفت من جهة أخرى، طعن أمي (الرضية) طعنة في الصميم"صـ129، هو لم يعلن ما تلك الطعنة، ولم يعلن عنها بصورة محددة فمن مات لم يذكره، وإنما حذف ذكره، ولم يعلن غدر الموت بمن؟!، كل هذه الأسئلة المغلقة أبوابها سنجد لها مفاتيح في كلام يمكن أن نقول عنه، أنه بمثابة فك المغاليق التي تظهر سرّا أخفاه الراوي حين يقول "حزنت.. يوم قتل طفل صغير من أحفاد أمي الرضية فرحها بمعافاة الدواب وصعقها بعودة ابنها الكبير ولكن في باطن تابوت!"صـ123،فالسرد المحذوف فيما بعد(بعودة ابنها الكبير ولكن في باطن تابوت!) هو المغلق غير المحدد، الذي لم يبئه الراوي، وفي انتقالته بنا إلى سرد آخر أعلن ذلك المحذوف، أي في مكان آخر ، وهناك حذوفات أخر في الرواية لم أقف عندها كي لا نقع في التكرار الممل أو الذي لايضيف جديدا آخر.

4- التوظيف السيري:

بعد وقوفنا على ما وظفه الروائي من تقانات سردية مهمة في تشكيل الرواية ، ننتقل إلى تقانة أخرى لا تقل أهمية فنية عما تناولناه ألا وهي توظيف السيرة الذاتية التي نحسبها أقرب الى السرد الروائي، مع علمنا أن السرد في السيرة الذاتية يختلف عن غيره من فنون النثر العربي؛ ذلك أن صاحب السيرة الذاتية يمتلك القدر الكافي من الحرية في الاستعانة بالتقانات السردية لفنون النثر العربي الأخرى، ولاسيما تقانات الرواية، "ويمكن أن نحت مصطلحاً جديداً في هذا الحقل نطلق عليه السيروية، أي الرواية السيرية، ولا أقصد هنا بالسيرية أن تكتب الرواية سيرة مؤلفها،

بل هي سيرة بطلها، سيرة حياته ضمن بنية اجتماعية وضع فيها"[11]، على الرغم من أن هذا المزج بين السيرة والرواية يسهم في التناغم لا التطابق بين الروائي وبطل الرواية، بما يمثل التفاعل الذاكراتي و الخيال[12]، وفي هذا الاطار تتحرك الرواية سريعاً في السرد الذي هو حدث متحقق في الزمن، مبتعدة كثيراً عن الوصف الذي هو فعل حدث بلا زمن[13].

وتتضح السيرية هنا من خلال أولاً "رؤية الشخصية وتحولاتها السريعة في زمن ممتد، مع الاعتماد على الخلاصة في تكثيف الأحداث وتتابعها العاجل كي تقدم لك أكثر مساحة سردية في حياة البطل، دون الذهاب بعيدا في تحليل بنية الشخصية وعلاقاتها بالبنى المحيطة بها، إذ تظل هذه الشخصية محكومة بتصوير الأحداث التي مرت عليها، فالسيرة لشخصية البطل سيرة تفاعلية بين الحدث وما يدور في حياة الشخصية" [14]، فابن القابلة كان قد نقل لنا في مخطوطته سيرة الجندي أونسام الذي ألتقى به في القاعدة الامريكية في العراق، وتعرف عليه، فهو لم يكن جنديا أمريكيا، وإنما هو (أنسام) ذاك الطفل الذي هجر بيته وأهله بعد أن تعرض للحرمان والقهر والاضطهاد الذي مارسته زوجة الأب عليه بعد مقتل أمه (كما يقول هو في سياق السرد) والقسوة التي مارسها أبوه الرجل الشرير السكير الذي عاش مع الاموات فاصبح حيا ميتا مثلهم، إذ ترى (الشخصية السيرية/ أونسام يتحدث عبر السرد الذاتي عند (وصف حالته من الطفوله حتى نهاية لحظة السرد)،بضمير المتكلم حيث تكون دفة السرد بيده بوصفه راويا عالما و ذاتا ساردة مشاركة في الأحداث،فهي تحقق ثنائية الفاعل/المنفعل في المسار السردي السير ذاتي[15]، ومن ثم تكفل (الراوي/فريد)، بنقل تلك الأحداث عن طريق السرد السيري، فكل ما دار في رواية (أونسام كاميل) هو سرد سيري " أين تعمل؟ في الصحافة، قلت له، فكر للحظات بعمق ثم قال، يا للمصادفة، دائما تقودنا المصادفات إلى ما نريد، ولما لاحظ أنني لم أفهم شيئا مما رمى إليه، قال أحتاج إليك بشكل كبير، أجبت، الوصول إليك صعب، قال سأذلل لك ما استطعت، أردف لم تسألني لماذا؟! هززت كتفي طالبا منه إيضاحا، قال: هل تعتقد انني لم ألاحظ نظراتك قبل قليل، كانت محملة باتهام كبير"صـ172، كل هذا الحوار السردي الذي يدور بين (الراوي/ فريد) وبين (الشخصية السيرية/أونسام)، حمل في طياته المغزى الحقيقي للرواية، فهو المفترق السردي، الذي من خلاله أعلن أو كان سيعلن لنا الراوي الغاية الحقيقية في طلبه "ظلمت كثيرا ولا أريد أن يستمر ظلمي بعد الممات! لذلك سأحكي لك قصتي من ألفها للياء، سأبوح بكل شيء"صـ172، ثم يعلن الراوي من جديد المحاورات التي دارت فيما بينهما حتى أكمل السيد كاميل ما قد أملاه في سيرته الذاتية الكاملة من ألفها للياء كما يقول" التقيته فعلا بعد أيام غير مبال بالمحاذير، التقيته مدفوعا بذلك النداء الغامض الذي يدفعنا لاكتشاف شيء جديد، قادني إلى مصطبة حجرية في ممر وجلس يحكي ويحكي وطال بنا الوقت وقلت: يكفي هذا فلنؤجل البقية إلى موعد آخر، قال لا أرجوك لم يتبق الكثير واستمر يسرد بسرعة وأنا ألاحق انتقالاته بين الأمكنة والسنوات" صـ172، هو يدوّن سيرته من خلال الانتقالات السيرية بين مراحل حياته الطويلة من طفولته التي حمّلها السرد أكثر مما تتحمل، ومرورا بشبابه في حضن (الرضية)، ثم انقطاع السرد لحظة التحاقه بالعسكرية، وأسره ثم إيداع ذلك الأسير في مقر أو كما يطلق عليه بيت المتقاعدين في أمريكا،وهذا الاسترجاع الذاكراتي لأطواره الحياتية عبر لحظتين زمنيتين لحظة وقوع الأحداث و لحظة الحاضر التي استدعت الحكي الذي تكفل به السارد في نص يهيمن عليه الخطاب المباشر، فكان هو يسرد وفريد يدوّن ويلاحق سنواته التي أحرقتها الغربة والضياع، حيث يسرد حياته التي لم يملكها ولكن أحرقها نفاث سكائر صاحب السروال القصير الذي أضله ليقف حاجزا بينه وبين وطنه ولكن وجدته (راشيل اليهودية) فتبنته كأم، لكنها مارست معه النوازع الجسدية، وهو لم يعترض لأوديبيته.

لم يكن فريد/ الراوي قد حصل على إذن بالتصريح لنشر تلك السيرة التي ستصبح فيما بعد سيرة غيرية حينما يقصها هو على معلمه، فالراوي السيري الذي قيده الراوي الذاتي بالوقت المعلن لإخراج تلك الرواية السيرية للعلن بعد موته، كما أعلن الراوي الذاتي" فاجأني بطلب غريب، أن لا أظهر قصته للعلن إلا بعد عشرة أعوام، لماذا؟ استفسرت منه، قال حتى أكفيك سوء الظن، سوء الظن بمن؟ رددت عليه، بك، أجاب، ربما سيتصور أحدهم أنك اختلقتني من الخيال وأعطيت لشخصيتي رؤاك"صـ172، ثم تعلن تلك السيرة فعلا، وهذا النقل الذي جاء هنا يمثل تقنية أخرى أتخذها الروائي في هذه الرواية وهي تقنية تعتمد على براعة الروائي في ابداعات جديدة للرواية يساهم في تطورها أولا، ويساهم في إضافة التشويق ثانيا، ويجعل النص الروائي مناسبا للتواصل التداولي المرتبط بكل مفاصل الحياة.

بعد هذه الرحلة التي قلبنا فيها عالم أونسام كاميل الروائي بدءا من تقانة ماوراء السرد ومن ثم الاسترجاع (فلاش باك) مرورا بتقانة الحذف السردي المرتبط بالحدث ثم وقوفنا عند تقانة السرد الأساس في الرواية(السيرية)، نخلص إلى نجاح الروائي أسعد اللامي في توظيفه الفني و الجمالي للتقانات المدروسة، وما وقوفنا عندها إلا لقلّة الدراسات التي تناولتها بل المعدومة، ونزعم أن هذه الدراسة كشف لطاقة المبدع في توظيف أكثر من تقانة سردية، أسهمت في إغناء النص واثرائه دلالة قيمية ولمسة فنية.

المصادر :

* ط1، (أونسام كاميل) رواية ،2011م، أسعد اللامي ، بيروت ، مؤسسة مصر للكتاب العراقي.

[1] – ط1،(ثريا النص مدخل لدراسة العنوان القصصي)، 1995م ، محمود عبد الوهاب، بغداد، دار الشؤون الثقافية، الموسوعة الصغيرة ع 396، 7.

[2] – (رواية الشخصية في الرواية العراقية المعاصرة)، 2018م، رسالة ماجستير، زبيدة جلال، اشراف ، د. نوافل يونس الحمداني ، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، 31.

[3] – ط1، (المبنى الميتا– سردي في الرواية)، 2013م، فاضل ثامر، بيروت،دار المدى للثقافة والنشر،2013، 8.

[4] – ط1، (جماليات ماوراء القص ، دراسات في رواية مابعد الحداثة)،2010م، مجموعة مؤلفين ، ترجمة و تحقيق ، أماني أبو رحمة، سوريا،دار نينوى للدراسات و النشر و والتوزيع، 21.

[5] – ط2،(خطاب الحكاية ،بحث في المنهج)،1997م جيرار جينيت، ترجمة : محمد معتصم وعمر حلي و عبد الجليل الأزدي ، مصر، الهيأة العامة للمطابع الأميرية ، 60.

[6] ط2،(الشعرية)،1990م، تزفتيان تودروف ، ترجمة، شكري المبخوت و رجاء سلامة، المغرب،دار توبقال للنشر، 48.

[7] – خطاب الحكاية، مصدر سابق، 117.

[8] – ينظر ،المصدر نفسه، 117.

[9]– ط3،(بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي)،2000م د0حميد لحمداني، المغرب، المركز الثقافي العربي، 47.

[10]– ينظر، المصدر نفسه، 53.

[11]–ط1، (صنعة السرد) ،2014م، د.سلمان كاصد، العراق، اتحاد الادباء والكتاب في البصرة، بالتعاون مع دار الرواسم للطباعة، 122، و ينظر، ط1،(الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث)1982م ، د. يحيى ابراهيم عبد الدايم، بيروت، دار أحياء التراث ، 6 .

[12]– ط1،(مكون السيرة الذاتية في رواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ)،2012م، ساميا بابا ،عمان،دار غيداء للنشر و التوزيع، ، 123.

[13]–ط1،(تطور الرواية العربية في مصر)، 1998م ،عبد المحسن بدر، القاهرة، دار المعارف، 299.

[14]– صنعة السرد ، مصدر سابق،122.

[15] –ط1،(السيرة و المتخيل ، قراءات في نماذج عربية معاصرة)2001م ، خليل الشيخ، عمان، دار أزمنة للنشر، 37.